اجتهادات
فضح العنصرية

تزداد قيمة الإبداع الأدبى والفنى بمقدار ما يؤدى إلى ارتباط وجدانى مع المبدع. وقليل من المبدعين الذين يدخلون عقول الناس وقلوبهم. وكانت الروائية العظيمة تونى موريسون، التى رحلت عن عالمنا قبل أيام، واحدة منهم. شغفتُ بها منذ وقت طويل، وتحديداً منذ أن قرأت روايتها الأولى العين الأكثر زرقة، التى ترجمها فاضل السلطاني، وأصدرتها دار الطليعة فى مطلع تسعينيات القرن الماضي. وترجمها بعد ذلك كامل حسين، ومصطفى ناصر، وربما آخرون أيضاً.

دخلت، من خلالها، عالم الأمريكيين من أصل إفريقي، فقد أبدعت فى إلقاء أضواء كاشفة عليه، وأحسنت استخدام قدرتها المتميزة على السرد بلغة جميلة وشاعرية. وقامت بدور جوهرى فى فضح العنصرية ضد ذوى البشرة السوداء عبر الرواية التى تحدث تأثيراً أكبر من أى كتابة سياسية واجتماعية، وفعلت ذلك عبر إبداع بديع عبرت عنه اللجنة المانحة لجائزة نوبل فى الآداب عام 1993 بقولها إن هذه الروائية قدمت الحياة فى جانب مهم من الواقع الأمريكى فى رواياتها المتميزة بخيال خصب ومضمون شاعرى.

كما تميزت رواياتها بقدرة بالغة على الاقتراب من قضية العنصرية عبر مداخل غير مألوفة. فى العين الأكثر زرقة فكرة بسيطة، ولكنها عميقة، وهى عجز الناس عن إدراك الجمال فى الإنسان ذى البشرة السوداء، بل عدم قدرة بعض هؤلاء أنفسهم عن رؤية ما لديهم من جمال، بسبب

انسياقهم وراء خرافة أن الجمال مقصور على ذوى البشرة البيضاء. وهذه حال الطفلة التى حلمت بأن تكون عيناها زرقاوين، مثل كثير من البنات البيض.

غير أن أقوى روايات موريسون هى تلك التى كشفت فيها، عبر سرد روائى معقد، آلام الأمريكيين من أصل إفريقى وعذاباتهم، خاصة رواية محبوبة التى تأخذ القارئ إلى عالم العبودية فى القرن التاسع عشر، وكيف بلغت معاناة امرأة استُعبدت إلى حد أنها سعت إلى قتل طفلتها لكى لا تصبح عبدة مثلها.

لقد استطاعت تونى موريسون معالجة عالم الأمريكيين من أصل إفريقى روائياً، أكثر من غيرها، الأمر الذى يضعها فى صدارة الأدباء الكبار فى الولايات المتحدة، مع إرنست هيمنجواي، وأليكس هيلي، وغيرهما.